

الحلقة الثالثة عشرة

سفر أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . نواصل اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية . وذلك من كلمة الله المقدسة كما جاءت في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس ، وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد . ثم علمنا بانضمام كثيرين ، وقد صار عدد الرجال فقط خمسة آلاف شخص . وكانت عجائب كثيرة تُجرى ، وكنيسة المسيح تنمو بشكل مستمر ، مما أثار غضب رؤساء الكهنة والمتدينين اليهود . فقبضوا على استفانوس الذي كان مملوءاً من الروح القدس والحكمة ، وبدأوا بمحاكمته .

فألقي استفانوس كلمة مطولة رد فيها على اتهامات اليهود ، ولخص تاريخ بني إسرائيل منذ إبراهيم الخليل . وبين لليهود أن آبائهم سبق لهم أن قاوموا الله وأنبيائه ، ابتداء بـ يوسف الصديق ، وإلى النبي موسى . وقال لهم أن النبي موسى تنبأ بمجيء المخلص المسيح ، الذي يجب أن يسمعو له . وأنه بسبب عدم طاعة بني إسرائيل لموسى ، وعبادتهم للأصنام المستمرة ، أدانهم الله ، وحكم عليهم بالتشتت والسبي إلى بابل .

وتابع استفانوس كلمته فتحدث عن خيمة الاجتماع أو الشهادة، التي صنعها موسى طبقاً لما أعلنه الله له . والتي كانت المكان الذي يجتمع فيه الله مع الشعب قديماً . وقد نقلها بنو إسرائيل معهم بعدئذ إلى أرض كنعان . وأضاف استفانوس قائلاً: ثم أراد الملك والنبي داود بناء بيت أو مسكن لله ، ليعبد فيه الشعب الله ، وليحل مكان خيمة الاجتماع . وقد تحققت هذه الرغبة على يد الملك سليمان الحكيم الذي بنى الهيكل .

وهنا كشف استفانوس أمراً هاماً إذ قال: "لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيدي . كما يقول النبي: السماء كرسي لي والأرض موطنٍ لقدمي". أي بيت تبنون لي يقول الرب وأي هو مكان راحتي. أليست يديّ صنعت هذه الأشياء كلها." (أعمال الرسل ٧: ٤٧-٥٠) رد بذلك استفانوس على اتهامات اليهود له ، بأنه يتكلم بكلام تجديف ضد الهيكل في أورشليم . وأوضح أن الله الخالق العلي القدير ، من غير الممكن ، ولا يريد أن يسكن ، في هياكل من صنع البشر . ودلل على صحة كلامه مستشهداً بآيات سبق للنبي إشعيا أن دونها في سفره . فقد تكلم النبي إشعيا بلسان الله قائلاً: "السموات كرسيّ والأرض موطنٍ قدمي". أين البيت الذي تبنون لي، وأين مكان راحتي." (إشعيا ٦٦: ١) فكما نعلم أن الله روح ، وهو مالى السماء والأرض . ومن غير الممكن أن نحصر الله أو نحده في مكان معين . وهل يعقل أن يسكن الله خالق كل هذه الأشياء في مكان هو من صنع البشر؟ لكن ماذا عن الهيكل القديم؟

لقد كان وجود الله في الهيكل قديماً ، رمزا وإشارة إلى المخلص يسوع المسيح الذي هو صورة الله غير المنظور . وهو كلمة الله الأزلي الذي تجسد وحل بيننا وصار إنساناً . فالمخلص المسيح هو هيكل الله الحقيقي . لهذا قال المخلص المسيح لليهود مرة:

"انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه." (بشارة يوحنا ٢:١٩) فظن اليهود أنه يتكلم عن الهيكل في أورشليم ، بينما كان يقصد هيكل جسده . وكانت هذه نبوءة عن موته وقيامته في فجر اليوم الثالث.

هل تعلم صديقي المستمع أن المؤمن الحقيقي في المسيح هو هيكل الله أيضا؟ ولهذا كتب الرسول بولس إلى المؤمنين قائلًا: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم." (١كورنثوس ٣:١٦) فكما حلّ الله بواسطة روحه القدس في الهيكل قديما ، هكذا يحل اليوم في المؤمنين بالمسيح بواسطة الروح القدس . ولهذا لم تعد هناك حاجة إلى الهيكل في المسيحية ، ولم تعد للهيكل القديم أية قيمة أو فائدة . ولهذا لم يكن غريبا أن يتنبأ المسيح عن دمار الهيكل ، وأنه لن يبقى حجر على حجر لن ينقض . وهو الذي حصل عندما غزا القائد الروماني تيطس أورشليم عام ٧٠ سبعين ميلادية ، ودُمّر الهيكل كما تنبأ المسيح . لكن الهيكل كان ما يزال قائما في أورشليم ، عندما كان استفانوس يخاطب اليهود . وهم الذين لم يكونوا يعلمون ، أن الهيكل لم يعد له أي معنى أو قيمة بالنسبة لله ، لاسيما بعد عمل الفداء الذي قام به المخلص المسيح.

لقد أثار كلام استفانوس عن الهيكل ، غيظ اليهود وحنقهم عليه . لكنه تابع موجهها كلامه لهم قائلًا: "يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أي الأنبياء لم يضطهدوه آباءكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار، الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقتليه. الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه." (أعمال الرسل ٧:٥١-٥٣) لقد كان اليهود يفتخرون أنهم أبناء عهد الختان ، أي المطهّرين في الجسد . لكن استفانوس كشف لهم أنهم غير مختونين الختان الحقيقي ، أي التطهير الحقيقي ، الذي يجب أن يكون في القلوب والآذان.

وفي مكان آخر يخبرنا الرسول بولس ، أن الختان الحقيقي هو ختان القلب ، أي تطهير القلب بروح الله القدس ، وليس ختان الجسد ، الذي لم تعد له أية قيمة بعد مجيء المخلص المسيح. (راجع رومية ٢:٢٨ و٢٩) ولهذا قال استفانوس لليهود أنهم قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان . وأنهم دائما يقاومون روح الله القدس ، كما كان يفعل آباؤهم ، الذين اضطهدوا جميع الأنبياء السابقين . هؤلاء الأنبياء الذين تنبأوا بمجيء البار ، أي المخلص المسيح . وعندها قال لهم استفانوس ، أنتم أيضا تأمرتم على هذا المسيح البار وقتلتموه . وعلى الرغم من أنكم أخذتم الشريعة من الله ، لكنكم لم تطيعوها.

أمام هذا التحدي ، وأمام فضحه لحقيقة أنفسهم الشريرة ، حنق اليهود بقلوبهم على استفانوس ، وأصروا بأسنانهم . ويخبرنا سفر أعمال الرسل ، أن استفانوس شخص عندها إلى السماء ، وهو ممتلئ من الروح القدس. "فرأى مجد الله ويسوع قائما عن يمين الله. فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله." (أعمال الرسل ٧:٥٥ و٥٦) لقد رأى استفانوس بالروح القدس المسيح كابن للإنسان، في مركز القوة والسلطان. أي رأى المسيح الملك في مجده . وقد سبق للرسول بطرس في عظته يوم الخمسين ، أن تحدث عن جلوس المسيح عن يمين الله الأب ، وتنتوجه ملكا ، بقيامته الظاهرة من بين الأموات ، وعوده حيا إلى

السماء . ولقد أيدت رؤيا استفانوس صحة هذا الكلام ، وتحقق نبوءة النبي دانيال ، التي كشفت أن ابن الإنسان الممجد، سيجلس بقرب الله ، فيُعطي قوة وسلطانا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة.

ما أن قال استفانوس كلامه هذا ، حتى صاح المجتمعون بصوت عظيم ، وسدوا آذانهم لأنهم لا يريدوا أن يسمعوا أكثر . وهجموا على استفانوس بنفس واحدة . ثم أخرجوه خارج مدينة أورشليم ورجموه بالحجارة . كان الرجم بالحجارة حتى الموت ، هو عقوبة التجديف على الله ، أو الإساءة إليه . وهكذا اعتبر اليهود أن استفانوس بحدِيثه هذا قد جدّف ، ويستحق بالتالي الرجم . وقد قاموا في غضبهم برجمه حتى من دون محاكمة . وبينما كانوا يرمونه كان استفانوس: " يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل روحي. ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تقم لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقد." (أعمال الرسل ٧:٥٩ و٦٠)

لم يرى استفانوس المخلص المسيح فحسب ، بل كان عنده اليقين أن روحه ستصعد إلى السماء ، لتكون مع مخلصه وفاديه . ولم ينسى استفانوس في آخر لحظة ، أن يطلب من الرب أن يغفر لقاتليه ، خطيتهم هذه . وهذا يكشف عن مدى المحبة التي يتحلّى بها المؤمن الحقيقي في المسيح ، حتى يغفر لقاتليه . ثم رقد استفانوس أي نام على رجاء القيامة . فهو لم يميت لكنه رقد بانتظار يوم القيامة الأخير.

مستمعي الكريم ، لقد كان استفانوس أول شهيد في المسيحية. ولكن استشهاده لم يوقف تقدم المسيحية كما ظن قاتلوه اليهود. بل على العكس فقد ساعد على نموها وانتشارها، وهو ما سنسمع عنه في اللقاءات القادمة.